==========

نظرية إسلامية لفتح القسطنطينية

==========

د . أماني جعفر الغازي

استاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد :

تعود أهمية التاريخ العثماني إلى أنه منذ قيام الدولة العثمانية ارتبطت بالإسلام ارتباطاً وثيقاً ، وقد سارت في جميع مراحلها ، داخل إطار الشريعة الإسلامية ، مما أدى إلى تصاعد موجات العداء والحقد بين معظم دول أوروبا ضد الدولة العثمانية بصفتها دولة إسلامية كبرى تحكم باسم الإسلام شعوباً مسيحية أوروبية .

لقد بلغ الشعور الأوروبي تجاه الدولة العثمانية أن اعتبروها مصدر الرعب الوحيد في العالم ولكن ما السبيل للتخلص من هذه الدولة ؟

لجأت الدول الأوروبية إلى مخططات عميقة الأثر للتخلص من الوجود العثماني ليس في أوروبا فقط وإنما في جميع الأراضي التي تحكمها .

من أبرز هذه المخططات تشجيع كتابات المستشرقين ، لصياغة التاريخ العثماني وفق منظور غربي أبعد ما يكون عن حقيقة الحدث التاريخي . وذلك بهدف تقديم صورة مشوهة وناقصة تماماً عن الدولة العثمانية .

حيث لم تحظ أي دولة إسلامية بقدر ما حظيت به الدولة العثمانية من اهتمام أقلام المستشرقين ، فقد أعتبروها مادة خصبة ثرية للكتابة عنها ، وتشويه تاريخ رموزها واختلاق الأكاذيب حول أحداث حكمهم .

هدف الدراسة وأهميتها :

ومن هنا جاءت أهمية الدراسة إذ توضح أنه بالتأكيد يعود السبب في التحامل على الدولة العثمانية أنها حملت الإسلام إلى أوروبا، إضافة إلى أنها

كشفت لها عن وجهها القاتم المظلم ، فأوروبا على مر تاريخها وإلى يومنا الحالي ، لم تستطع التحلي ببعض المسلمات ، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تمارس هذه المسلمات بمنتهى السلاسة ، ولعل أبرزها سياسة التسامح الديني التي ميزت الدولة العثمانية في حركة فتوحاتها الإسلامية ، ولذلك تسابقت أقلام الحاقدين لخلق الافتراءات حول هذه الفتوحات ، وهي افتراءات وتشويهات كثيرة ، وهنا أهمية ثانية للدراسة ، فهي ستلقي الضوء على فتح القسطنطينية والأحداث المباشرة التي أعقبت الفتح ، والتي سيتجلى فيها مبدأ التسامح الديني.

موضوع الدراسة والنقاط التي ستتعرض لها :

ستناقش الدراسة الافتراءات والتشويهات التي دارت حول الأحداث التي أعقبت فتح القسطنطينية والتعامل مع أهلها ، والتعامل أيضاً مع الأسرى ، وذلك بمنظور إسلامي ، في محاولة لإعادة صياغة هذه الأحداث بشكل إسلامي صحيح .

لقد امتلأت كتب المستشرقين بروايات كثيرة حول الأحداث التي أعقبت فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح ، تمركزت أغلبها حول أعمال القتل والسلب وانتهاك الأعراض ، وتكمن خطورة هذه الروايات في تناقل عدد لا بأس به من المؤرخين المسلمين هذه المعلومات في كتبهم ، وكأنها أمر حدث بالفعل دون تحمل عناء البحث عن حقيقة الحدث ، أو إيراد إثبات بالفعل على هذه الأحداث أو حتى إعادة ترجمة للمصادر العثمانية الموثوقة .

منهجية الدراسة :

أما عن المنهجية التي ستتبعها الدراسة ، فإنها ترتكز حول أخذ نماذج من أقوال المستشرقين عن الأحداث التي أعقبت فتح القسطنطينية وكيفية التعامل مع الأسرى ، مع ملاحظة أن جميع المستشرقين ليسوا معاصرين للحدث،

والمعاصرين أقوالهم أختلفت كثيراً وإيراد أمثلة أيضاً على أقوال المتأثرين من المؤرخين المسلمين الذين ردوا افتراءات المستشرقين دون بحث

ثم تتابع الدراسة الرد على هذه الأقوال ، من خلال مصادر ومراجع موثقة ومعاصرة للأحداث ، ومن ثم ذكر حقيقة الحدث كما تم دون تحريف ، الأمر الذي سيقود في النهاية إلى خاتمة تحتوي على أهم نتائج البحث .

حدود الدراسة الزمانية والمكانية :

يركز البحث على الفترة الزمنية البسيطة والتي تعد بالأيام بعد فتح القسطنطينية والأحداث التي حدثت أثناءها ، وتحديداً في كنيسة آيا صوفيا وكيفية التعامل مع الأسرى فيها . والمدة الزمنية ثلاثة أيام.

السلطان محمد الفاتح :

قبل الخوض في موضوع الفرية التي تخص الدراسة لابد من التطرق لحياة السلطان محمد الفاتح قبل توليه دفة الحكم العثماني ، وقبل فتحهِ للقسطنطينية وتتويجهُ بلقب الفاتح .

يعد السلطان محمد الثاني " الفاتح " المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية ، وأكثر سلاطينها جرأة وإقداماً في الفتوحات ، ومن أكثرهم تطويراً في الخطط العسكرية ، وكان يخفي الأسرار حتى عن أقرب المقربين إليه .

يعد السلطان السابع للدولة العثمانية ، ابن السلطان مراد الثاني، ولد في أدرنه يوم الأحد ٦ شعبان ٨٣٦هـ / ٣٠ مارس ١٤٣٢م [١] تلقى العلم منذ صباه من أبرز علماء عصرهِ ، ومن أهمهم الشيخ آق شمس الدين [٢] والذي رباه على مائدة القرآن الكريم ، كما تلقى العديد من الدروس في مختلف علوم الفقه ، على يد الملا خسرو[٣] ، أما الحديث والتفسير فتلقاه من الملاكوراني [٤] بالإضافة إلى أنه تلقى الرياضيات وعلم الكلام والتاريخ ، وأتقن عدة لغات العربية والفارسية والإيطالية واليونانية والصربية [٥] ، أنعكس هذا التعليم الديني وإتقانهِ لعدة لغات على حركة فتوحاتهِ وتشجيعه لحركة الترجمة من العربية إلى التركية ، حتى أنه أسس أول جامعة إسلامية في إستانبول ، وكانت مشروعاً إسلامياً بحتاً [٦] .

أما عن مسألة حركة فتوحاتهِ فقد تميزت بأنها سارت وفق ضوابط الشريعة الإسلامية ، وداخل إطار تشريعات الحرب في الإسلام .

إن الشيخ آق شمس الدين الذي درسه القرآن الكريم والسنة النبوية ، كان دائماً يحدثه ويزرع في قلبه أنه المقصود [٧] بالحديث الشريف ، عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أحمد بن حنبل حدثنا عبدالله بن محمد بن

أبي شيبة ، وسمعه أناس عن عبدالله بن محمد بن أبي شيبة قال : حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني الوليد بن المغيرة المعافري قال : حدثني عبدالله بن بشر الخثعمي عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش " (٨)

لقد نما الأمير محمد الثاني وشب عن الطوق وهذا الحديث الشريف يسكن قلبه ، حتى قرر أن يحققه ويفتح الجدار العتيق للدولة البيزنطية في الشرق.

ومن خلال تتبع سيرة السلطان محمد الفاتح يتضح أنه كان مسلماً صادق الإسلام ، قوي الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله ، حفظ القرآن الكريم مبكراً ، جميع خطبه تفيض حماساً وحمية للإسلام ، وأثناء وجوده بإستانبول كان لا تفوته صلاة الجماعة بالمسجد ، وبالتالي فإن الذين يشككوا في قوة عقيدة الفاتح لم تستغ أقلامهم أبداً كيف كان الفاتح قائداً مسلماً ثم يعامل المسيحيين بسماحة وتسامح في الوقت الذي كانت أوروبا فيه تفتقد لمعنى التسامح الديني مع أصحاب المذاهب المسيحية نفسها وليس بين الأديان الأخرى ، إن التسامح نحو أهل الأديان الأخرى أمر شرعي أمر به الإسلام ، وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في فتوحاتهم منذ فجر تاريخهم . (٩)

رواية المستشرقين :

أتفق أغلب المستشرقين على أن السلطان محمد الفاتح قام بمذبحة مروعة في شوارع القسطنطينية ، عقب فتحها وأستباح المدينة ثلاثة أيام ، قام خلالها الجنود العثمانيين المسلمين بشتى أنواع السلب والنهب والقتل وانتهاك الأعراض .

هذه الرواية الأساسية ، وإن اختلفت في التفاصيل تبعاً لوجهة نظر كل مستشرق وطريقة عرضه للحدث .

ولنلقي نظرة على أقوال بعض المستشرقين التي روجوا لها في كتبهم .

فكارل بروكلمان وصفها بقوله " دار القتال في الشوارع ، حتى إذا انتصف النهار دخل محمد بنفسهِ المدينة ، وأصدر أمره إلى جيوشه بوقف المجزرة ، ثم دخل كنيسة أيا صوفيا واستولى عليها رسمياً باسم الإسلام ".(١٠)

أما روبيرمانتران فزاد بقولهِ " كان عزمه المعلن هو أن يجعل من المدينة التي فتحها عاصمة لإمبراطوريته فتحزنه الأطلال المترتبة على أعمال السلب . ولذا فهو يسارع إلى إنهاء هذه الأعمال قبل انقضاء الأيام الثلاثة التي تبيحها الشريعة للجنود . والحق أن الأسلاب كانت ضخمة بالفعل . وكان يتوجب رد البهاء والإزدهار إلى المدينة " (١١)

" ينهمك جنود السلطان في السلب الذي هو حق لهم ، أما فيما يتعلق بالسكان فسوف يجري أخذهم واستعبادهم بأعداد غفيرة إن أفلتوا من المذبحة ، وبعد ظهيرة يوم ٣٠ مايو يدخل محمد الثاني المدينة ويسارع إلى إنهاء أعمال السلب قبل إنقضاء الثلاثة أيام التي تبيحها الشريعة للجنود " (١٢)

وقد أورد جون باتريك كيزوس في كتابهِ القرون العثمانية "وبعد أن دخل الجنود إلى البوابات تجول الجيش المنتصر عبر طرقات المدينة وسط الدماء وأعمل أفراده السلب والنهب المألوف لديهم تجولوا في الكنائس والأديرة والأسقفيات والقصور والمنازل واستولوا على الأموال والأنفس ..

ظل الرهبان ينشدون عند مذبح أيا صوفيا ، قُيد المتعبدون مع بعضهم بالأغلال ومزقت ثياب النساء وأخُرجن إلى الشوارع أمام الجنود الذين تنازعوا على امتلاك الفتيات والشباب والشيوخ الأثرياء .. ثم توجه إلى المذبح ، وفي

الطريق وجد أحد الجنود الأتراك يحمل قطعة رخام من أرض الكنيسة فسأله لماذا يدمر الأرض فرد قائلاً : من أجل العقيدة ، فضربه السلطان بسيفه قائلاً : " ألا يكفيك الأموال والأسرى ، إن جميع مباني المدينة ملكاً لي " وركل الجندي بقدميه وأزاحه من طريقه " (١٣) .

أضاف هامر قائلاً " بدأ جنود الفاتح بنهب المدينة – القسطنطينية – وأصبحوا يتصرفون بدون وعي وبدون وجود قوة تردعهم عن ممارسة أعمال النهب .... ، إن جنود الفاتح اتجهوا إلى سلب الكنائس وتدميرها وتحطيم محتوياتها وتكسير الصُلبان وإقامة الولائم بداخل الكنائس وتحويلها إلى حظائر للخيول وممارسة الفواحش بها " (١٤)

الواقع أن هامر بالغ بشدة أثناء وصفهِ للأحداث اللاحقة لفتح القسطنطينية، ودخول الجند العثمانيين لها ، حيث يتضح ذلك من سياق الأحداث التي ذكرها والمخالفة تماماً للواقع والحقيقة . (١٥)

بل بعض المستشرقون زاد على الرواية السابقة نص خطبة ألقاها على جنوده قبيل الهجوم الأخير على المدينة حيث جمع الجند وألقى على مسامعهم ما يلي : " إنني لم أجمعكم في هذا المكان لأبعث روح الحماسة فيكم ، لأن هذه الروح لا تنقصكم ، ولكنني جمعتكم لأعرض أمامكم المكافأة والثواب الذي سينالكم بعد الهجوم المنتظر ، فأمامكم مدينة الكنوز والثروة والجمال التي تزدحم بها الكنائس والقصور ، إنها مدينة المجد والعز التي تشكل قلب العالم ، وهي المدينة التي ستستبيحونها غداً ، ولا أريدكم أن تتركوا فيها شيئاً فيه حياة، ما عدا الأبنية والأرض فقط .....:" (١٦) .

ولا يقتصر تواجد هذه الرواية المشكوك في مدى صحتها على كتب المستشرقين ، ولكن تعدتها إلى كتب المؤرخين المسلمين أمثال المؤرخ التركي

خليل إينالجيك حيث أكد الرواية بقوله " لم يرغب السلطان حينئذ في السماح بسلب عاصمته القادمة ، إلا أن الشريعة كانت تبيح جمع غنائم الحرب خلال ثلاثة أيام . ونظراً إلى أن المدينة فتحت عنوة ، فقد كانت الأملاك المنقولة حسب الشريعة غنيمة للجنود، كما كان يمكن استرقاق السكان بشكل شرعي ، وقد تجول محمد الفاتح ... في اليوم الأول للفتح في المدينة ، حيث أمر بوقف السلب فيها " . (١٧)

ووردت هذه الرواية عند بعض المؤرخين الثقات في التاريخ العثماني والتي يعتمد على كتبهم الباحث في التاريخ العثماني بشكل كبير أمثال سالم الرشيدي حيث قال " ولم يجد المسلمون بدأ من مقاتلتهم وأصبحت المدينة بذلك غنيمة للفاتحين كما تقضي بذلك قوانين الحرب في ذلك العهد وكما يقضي الإسلام " . (١٨)

وعليه فإن الخطورة تكمن في أن المؤرخين يتناقلوها وكأنها أمر صادق حدث بالفعل دون تمحيص للحقيقة أو بحث وراءها ، مما أوجد مسلمات خاطئة في التاريخ العثماني .

الرد على الرواية :

لقد استندت هذه الروايات السابقة على عرف كان سائداً في حروب تلك العصور يقضي بأنه إذ طلب من مدينة ما الاستسلام أثناء الحرب أو الحصار وترفض ، فإن من حق فاتحها أن يستبيحها ثلاثة أيام بلياليها يفعل هو وجنوده ما شاءوا (١٩)

وفي واقع الأمر أن السلطان محمد الفاتح قد أرسل في يوم ١٣ جماد الأول ٨٥٧هـ ٢٣/مايو ١٤٥٣م رسولاً من قبله إلى البيزنطيين ليخبرهم أن المدينة ستسقط بإذن الله بعد أول هجوم عام عليها ، وعلى الإمبراطور البيزنطي

أن يعي ذلك ، وإن استسلموا وسلموا المدينة صلحاً فستسلم أرواحهم وأموالهم ولن يتعرض لها أحد حسب قوانين الشريعة الإسلامية ، أما إذا فتحت عنوة فإن الدماء ستسيل ولن يتحمل السلطان مسئولية ما سيجري ، فلم يقبل الإمبراطور عرض الصلح ، وفتحت المدينة عنوة ، ومع هذا فلم يحدث ما ذكره المستشرقين ، ولم تسيل الدماء بل أخذوا الأمان مباشرة على أنفسهم[٢٠] وإن حدث فإنه لا يتعدى كونه حوادث فردية صدرت من جنود متحمسين للقتال ، وأثناء عملية الاقتحام الأخيرة أي في ساحة المعركة .

كما أنه ليس من مبادئ شريعتنا الإسلامية التي تحرم القتل في الحرب إلا في ساحة المعركة ، أن تبيح للقائد والجنود المنتصرين استباحة مدينة مهما كانت ديانة أهلها ، وانتهاك لحرمات بيوتها ، فهذا قول مرفوض تماماً ، بالإضافة إلى أنه لا يعقل ونحن مسلمين أن نصدق أن السلطان محمد الفاتح الذي تحققت فيه مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتبع عرف سائد في بلاد الكفر ويبيح لجنودهِ سلب المدينة وإنتهاك أعراض النساء أو نصدق عنه بعدما أنعم عليه الله سبحانه بهذا الفتح المبين يقابله بالمعصية وإطلاق يد الجند.

إن هناك أفعال محرمة في الحرب حسب الشريعة الإسلامية :

القتل ظلماً أو بالتعذيب ، وقتل غير المشاركين في الحرب من الشيوخ والأطفال والنساء والعبيد وحتى المرضى ورجال الدين المعتكفين في صوامعهم ، ولكن إن اشترك هؤلاء في الحرب سواء بالنفس أو بالمال يمكن قتله آنذاك .

تحريم المثلة في الميت ، خرق المعاهدات ، حرق المحاصيل الزراعية والغابات والأشجار أو قطعها ما لم تكن هناك ضرورة حربية . إتيان الفواحش وإقامة علاقات غير شرعية ، عدم قتل الرهائن والرسل ، والأقرباء الجند المقاتلين [٢١] .

هذه تعاليم الشريعة السمحاء والتي سار عليها السلطان محمد الفاتح وجيشه المجاهد في سبيل الله .

وفيما يلي بعض نماذج لمواقف الصحابة أثناء حركة الفتوحات الإسلامية والتي توضح تعاليم الإسلام في الفتح .

قال الحسن في أهل الخراج الذين وضع عليهم عمر بن الخطاب الجزية[٢٢] على رءوسهم ثمانية وأربعين ، وأربعة وعشرين ، وأثني عشر ، قال: "ولا يوضع عليهم أكثر من ذلك ، ومن عجز منهم خفف عنه ، وأما أرضهم فعليها الخراج الذي وضعه عمر بن الخطاب : على الجريب قفيز [٢٣] ودرهم، وعلى النخل والرطاب والكرم والشجر ما وضعه عليهم عمر ، فإن احتملوا أكثر من ذلك فلا يزاد عليهم ، وإن عجزوا عن ذلك خفف عنهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم " ، كما قال عمر . [٢٤]

كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق : " أما بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم ، وما أفاء الله عليهم ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس به إلى العسكر من كراع أو مال ، فأقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ، ليكون ذلك من أعطيات المسلمين ، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء ، وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس إلى الإسلام ، فمن أسلم ، واستجاب لك قبل القتال فهو رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وله سهم في الإسلام ، ومن استجاب لك بعد القتال وبعد الهزيمة ، فهو رجل من المسلمين ، وماله لأهل الإسلام ؛ لأنهم قد أحرزوه قبل الإسلام " [٢٥]

عن الشعبي أن جريراً رضي الله عنه : بارز مهران فقتله فقومت منطقته – أي الحزام الذي يلبسه – ثلاثين ألفاً وكان من بارز رجلاً فقتله فله

سلبه فكتبوا إلى عمر رضي الله عنه فقال : ليس هذا من السلب الذي يعطى ليس من السلاح ولا من الكراع ولم ينفله وجعله مغنماً . (٢٦)

قال صلى الله عليه وسلم (من قتل قتيلاً له عليه بينه فله سلبه) اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الشافعي ومالك والأوزاعي والليث والثوري وأبو ثور وأحمد وإسحاق وبن جرير وغيرهم يستحق القاتل سلب القتيل في جميع الحروب سواء قال أمير الجيش قبل ذلك من قتل قتيلاً فله سلبه أم لم يقل ذلك قالوا وهذه فتوى من النبي صلى الله عليه وسلم وإخبار عن حكم الشرع فلا يتوقف على قول أحد .

وقال أبو حنيفة ومالك ومن تابعهما رحمهم الله تعالى لا يستحق القاتل بمجرد القتل سلب القتيل بل هو لجميع الغانمين كسائر الغنيمة إلا أن يقول الأمير قبل القتال من قتل قتيلاً فله سلبه وحملوا الحديث على هذا وجعلوا هذا إطلاقاً من النبي صلى الله عليه وسلم وليس بفتوى .(٢٧)

سئل مالك عمن قتل قتيلاً من العدو أيكون له سلبه بغير إذن الإمام قال لا يكون ذلك لأحد بغير إذن الإمام ولا يكون ذلك من الإمام إلا على وجه الاجتهاد ولم يبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلاً فله سلبه إلا يوم حنين .(٢٨) .

حقيقة الفتح :

في يوم ١٨ جماد الأولى ٨٥٧هـ / ٢٨ مايو ١٤٥٣م أمر السلطان محمد الفاتح جنوده بالصيام قبل الهجوم ، وذلك تقرباً إلى الله وتزكية لنفوسهم وتقوية لعزيمتهم ، قبل الهجوم الأخير ، ثم زار السلطان كل أقسام الجيش ليشجعهم ويحثهم على التضحية ويقوي فيهم الثقة بالنفس والنصر ، وبعد الإفطار تعالت أصوات التكبير والتهليل ورتلت الأناشيد الدينية ، وبدأ الشيوخ في

تلاوة آيات الجهاد ثم دعا السلطان محمد الفاتح إلى عقد مجلس الحرب وخطب فيهم مع الجند باعثاً على الحماس في نفوسهم قائلاً " إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول الله ومعجزة من معجزاتهِ وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير ، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً ، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ويدعوا القساوسة والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون"[٢٩]

وتدل هذه الخطبة على مدى حرص العثمانيين والالتزام بقواعد الإسلام، وعدم الإتيان بما يتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية في الحرب ، حيث كان فتح القسطنطينية مثال للفتوحات الإسلامية الخالية من التعديات على سكان المدينة أو إضطهاد للنصارى بسبب دينهم .

فقد مّن الله على العثمانيين بفتح القسطنطينية في يوم ١٩ جمادى الأولى ٨٥٧هـ / ٢٩ مايو ١٤٥٣م ، حينما بدأوا بإختراق الأسوار المنيعة بعد أداء صلاة الفجر وإصدار السلطان محمد الفاتح بالأوامر للهجوم الأخير ودخلها الفاتح القائد المسلم المنتصر ورأى العلم يرفرف فوق أسوار المدينة ، فأقبل عليه كبار رجالهِ ووجهوهم تطفح بالبشر والسعادة يهنئونه بالنصر والفتح وكل منهم يقول له : " بارك الله في جهادك يا سلطاني ، فكان يجيب بقوله :

حمداً لله ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد ولشعبي الفخر والشكر " [٣٠] ثم بدأ في قراءة الحديث الشريف على جنودهِ ونهاهم عن السلب والنهب ، وأمرهم أن يكونوا أهلاً للشرف الذي حباهم به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " أيها الجند لقد أصبحتم فاتحين إستانبول بحمد الله سبحانه وتعالى

أقتلوا من يقاتلكم ولا تتعرضوا لمن لا يحمل السلاح ضدكم ، ولا تتعرضوا للأطفال والشيوخ والنساء والمرضى ، وخذوا من الغنائم التي أحُلت لكم " (٣١). ثم ترجل عن فرسه وأستقبل القبلة وسجد على الأرض شكراً لله وحثا التراب على رأسه تواضعاً وشكراً لله على هذه النعمة ، ثم يمم وجهه إلى كنيسة أيا صوفيا . (٣٢)

في هذه الأثناء فقد تملك أهالي القسطنطينية الفزع والرعب حيث لاذوا بالفرار في عدة اتجاهات طلباً للنجاة ، اعتقاداً منهم أن العثمانيين قوم أجلاف غلاظ القلوب ، سيمعنون فيهم القتل والسلب دون رحمة ، ولهم العذر في هذا الاعتقاد حيث أنه لا يزال ماثل أمامهم ما فعله الصليبيون عندما جاءوا في حملتهم الرابعة على القسطنطينية قبل ذلك الوقت بقرنين ونصف من الزمان.(٣٣)

وأرتكب الصليبيون ما ارتكبوه فيها من تدمير وقتل وحشي وحرق ، وكانت لا تزال آثارهم التدميرية ماثلة في القسطنطينية إلى ذلك اليوم .

فإذا كان الصليبيون وهم حماة النصرانية يرتكبون كل هذا فكيف بالأتراك المسلمين المختلفين في الدين ؟ (٣٤)

لقد تجمع أغلب أهالي القسطنطينية النصارى في كنيسة أيا صوفيا ، إحتماءً بها وتضرعاً لله ، لم يمسسهم أي من الجند بأذى والتزموا معهم بتعاليم الشريعة الإسلامية ، وفي نفس الوقت ملتزمين بوصية سلطانهم ، فوصل لهم السلطان محمد الفاتح فأستقبله الجيش المصطف بجانب أيا صوفيا بالتهليل والتكبير ، وعند وصوله ، أمن الأهالي فيها على أنفسهم وأرواحهم وطلب من الراهب الاستمرار في صلاتهم في هدوء وسجد الفاتح مرة أخرى لله يحمده على هذه النعمة ومن ثم طلب من الراهب بأن يأمر المصلين والأهالي بالذهاب إلى بيوتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأن يعود الأهالي لممارسة

أعمالهم وحرفهم ، فطمأن هذا الكلام نفوس الأهالي الذين كانوا يتوقعون أشد أنواع العذاب والتنكيل ، ولم يكتفي الفاتح بهذا الأمر وإنما بعث برسل إلى أنحاء المدينة لتأمين الناس وليعود كل رومي بأمان إلى وطنهِ وترك لهم كنائسهم وحرية ممارسة الشعائر الدينية . (٣٥)

وقد أختبئ عدد من الرهبان في سراديب الكنيسة خوفاً من القتل، فلما سمعوا بما فعله السلطان الفاتح المسلم وحسن رعايته للنصارى خرجوا من أماكنهم وأعلنوا إسلامهم . (٣٦)

ثم أدى السلطان محمد الفاتح صلاة شكر لله تعالى على ما أفاء على المسلمين من نعمة النصر والفتح ، ثم أمر المؤذن فأذن لصلاة الظهر ، وأداها الفاتحين جماعة ، ومنذ ذلك الوقت تم تحويل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد ، وأعلن أن أول صلاة جمعة ستقام به ، ولأول مرة جلجل صوت الآذان في الكنيسة المسيحية . (٣٧) وبعدها بدأ البناؤون في إعداده كمسجد فرفعوا الصلبان وصور القديسين والقديسات وكان في بعض جدران الكنيسة صوراً بالفسيفساء لأشخاص قد تلهي المصلين أثناء تأديتهم لصلاتهم فأراد البعض نزعها وكسرها، فنهاهم الفاتح عن ذلك وأكتفى بتغطيتها بطبقة من الكلس ثم أنشئ المحراب وأقيم المنبر وشيدت المئذنة . (٣٨)

كما أنه أثناء سيره في كنيسة أيا صوفيا سمع صوت قرعاً ونقراً من خلفهِ ، فالتفت فإذا بجندي من جنوده يضرب بآله حاده عاموداً من المرمر كانت معلقة عليه إحدى الصور المقدسة ، فاقترب منه السلطان وقال له غاضباً " ما عملك هذا ؟ فأجاب الجندي : ألست مسلماً ؟ أريد محو آثار الكفر . فقال له الفاتح : ليس من الحق تخريب الكنيسة ، وأبعده عن الطريق . (٣٩)

وقد حرف هذا الحدث على هوى المستشرقين حيث أدعوا فيه ما أرادوا كما وسبق وأتضح في روايات المستشرقين وهذا من دأبهم دائماً تحريف الحدث الحقيقي وتشويهه حتى يفقد معناه تماماً والناتج اختلاف صورة الحدث تماماً .

حسن التعامل مع الأهالي :

والواقع أن السلطان محمد الفاتح قد أظهر تسامحاً كبيراً مع أهالي القسطنطينية حيث أمر بحسن معاملة أهل المدينة ، وأمر بحماية أرواحهم وأموالهم وبالسماح لهم بأداء طقوسهم وشعائرهم الدينية في كنائسهم ومعابدهم، وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والترفق بهم، وقد بذل كل ما في وسعه لتخفيف آلامهم وفك أسرهم ، حتى أنه افتدى عدداً كبيراً منهم بمالهِ الخاص أو جعل فديتهم نظير قيامهم بأعمال في بناء المدينة ، ويطلق سراحهم بعد ذلك ، وأهتم بافتداء أمراء اليونان ورجال الدين خاصة ، وقد استمر بحارة كريت في المقاومة في منطقة باغجة قابو ، فأعجب السلطان محمد الفاتح بشجاعتهم وبطولتهم وأمر بعدم أسرهم والسماح لهم بالعودة إلى سفنهم بأسلحتهم للعودة إلى جزيرتهم ، [٤٠] وطبعاً هذا منتهى التسامح الديني ، ومخالف لعقلية العصور الوسطى السائدة في ذلك الوقت .

هذا من ناحية منح الأهالي الأمن والأمان ، أما من الناحية الدينية ، فقد كان السلطان محمد الفاتح مدركاً تماماً أن الروم قوماً شديدي التمسك بالدين المسيحي فرأى أن يجمع شملهم ويوحدهم ويشجعهم على العودة للاطمئنان إلى حكمهِ وأن يظهر الاهتمام بالناحية الدينية ، فعمل على تنصيب بطريرك رومي جديد وبنفس المراسيم الفخمة الأولى ، فأنتخب الأساقفة جناديوس بطريركاً لهم،[٤١] فذهب إليه الأخير في موكب حافل لمقابلة السلطان الذي أستقبله بمنتهى الترحيب والحفاوة والتكريم ، وتناول معه الطعام وأعطاه عصى البطريركية ،

ومنحه كافة الحقوق والامتيازات بقوله " إنك البطريرك وليحفظك الله ، وأعتمد دائماً على صداقتي ومودتي ، وتمتع بكل ما كان يتمتع به سلفك من الحقوق والامتيازات " (٤٢) .

وقد تأثر البطريرك بهذا الترحيب وهذه الحفاوة وشعر بشيء من الخجل حيث قال للسلطان : أن الأباطرة النصارى لم يفعلوا قط مثل هذا لمن سبقه من البطاركة ، وخرج من عنده وقد تغيرت نظرته تماماً ، فقد شعر أنه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة راسخة وإنسان ذو أخلاق رفيعة وحتى الروم أنفسهم لم يكونوا أقل دهشة وتأثراً من بطريركهم فقد كانوا يحسبونه فاتحاً بربرياً سفاكاً للدماء لا يراعي حرمة الدين ولكنهم وجدوا فيه السماحة والدماثة والأريحية ما لم يروا مثلها من قبل بعد أن تصوروا أن القتل من نصيبهم لا محالة فلم يسعهم إلا الدعاء بالمباركة لهم في هذا السلطان الجديد.(٤٣)

ثم أصدر الفاتح بعد ذلك فرماناً للبطريرك يقضي بتأمينه على شخصهِ وجعله في رتبة الوزراء ، وعهد إليه بالنظر في أمور الروم من الناحيتين الدينية والمدنية كالزواج والطلاق والميراث ، وأصبح البطريرك بموجب هذا الفرمان زعيماً دينياً وسياسياً لشعبه . (٤٤)

لم يظهر السلطان محمد الفاتح ما أظهره من تسامح إلا لأنه فاتح مسلم مقتدي بسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وهو بذلك يعتبر من أبرز السلاطين الذين سلكوا سياسة التسامح مع الرعايا المسيحيين ، حيث جعل نفسه حامياً للكنيسة الأرثوذكسية وحرم اضطهاد المسيحيين وأكد على حقهم في التمتع بالامتيازات القديمة ورفع قدر البطريرك حيث جعله واحداً من كبار رجال دولته فكسب كثير من المسيحيين الذين رحبوا بسيادة الأتراك المسلمين عن الكاثوليكية المتعصبة . (٤٥)

ثم بدأ الفاتح باستعراض جنوده استعراضاً عسكرياً ، مثل ما يحدث في الوقت الحالي – وأقيمت مسابقة عسكرية بين الجنود في الرماية بمختلف الأسلحة ، وقد أضفت عليهم البهجة والسرور بعد أيام الحصار والقتال المرير، وبعد انتهاء المسابقة أقيمت مأدبة حافلة فاخرة للجنود لمدة ثلاثة أيام احتفالاً بالنصر ، أقيمت خلالها الزينات والمهرجانات ، وقد كان السلطان يقوم بخدمتهم بنفسهِ متمثلاً بالقول "سيد القوم خادمهم" ووزع عليهم العطايا والمنح ، حتى أن الشيخ آق شمس الدين أوصاهم بعدم الإسراف في الأموال والغنائم ، وإنفاقها في وجوه الخير لأهل المدينة . (٤٦)

شهادة المؤرخين النصارى على تسامح الفاتح وعدم استباحة المدينة :-

إن المؤرخين البيزنطيين الذين كانوا معاصرين لفتح القسطنطينية لم يجرءوا على إطلاق مثل هذه المزاعم ، لأن السلطان الفاتح المسلم قد التزم في هذا الفتح وفي الفتوحات الأخرى بتعاليم الشريعة الإسلامية التي تحرم على الجيوش الإسلامية – حتى أثناء المعركة الفعلية – القيام بأعمال معينة كالتعذيب والتشويه ضد العدو والإعتداء على ممتلكاتهِ ، وقد كانت هذه التعاليم نصب عين السلطان محمد الفاتح وجيشهِ أثناء الفتح، فالتزامهم بقواعد الشريعة الإسلامية في الفتوحات هي التي قادت العثمانيين من فتح لآخر ومن نصر لآخر. (٤٧) .

لقد أجمع المؤرخين النصارى المحايدين على حسن تعامل محمد الفاتح مع نصارى القسطنطينية ، فنذكر منهم على سبيل المثال: "فيرنارد جرينارد" الذي قال " عندما دخل المسلمون القسطنطينية ، اكتفوا بقتل الذين كانوا يقاومونهم بقوة السلاح " (٤٨)

أما المؤرخ الفرنسي لاموش أوضح في كتابهِ " لقد سار الفاتح على أسس دينية رائعة أساسها التسامح وأن لا إكراه في الدين ، ولهذا أبقى السلطات

الدينية في يد الكنيسة ، وعلى رأسها بطريرك الروم ، بل وأضاف إليها سلطات مدنية ، لقد كانت سياسية محمد الفاتح الدينية السمحة لا مثيل لها في بقية مناطق الصدام بين المسلمين والمسيحيين " . (٤٩) .

أما المؤرخ البيزنطي " كريتوفولس " فيقول " لم يتعد عدد القتلى من البيزنطيين وحلفائهم في معركة فتح القسطنطينية أكثر من أربعة آلاف قتيل ، بينما بلغ عدد الأسرى من المقاتلين الذين ألقوا سلاحهم أكثر من خمسين ألف جندي ، وقد استجاب السلطان محمد لرجاء البطريرك الجديد للمدينة فقبل من كل أسير فدية رمزية فعادت الحرية لجميع الأسرى " (٥٠)

أما المؤرخ باول ويتك فقد أورد في كتابهِ " تأسيس الإمبراطورية العثمانية " كان النصارى الأرثوذكس يكرهون بشدة أبناء دينهم من النصارى الكاثوليك " اللاتين " وخاصة أهل جنوة ، بسبب ما يلاقونه منهم من استغلال واضطهاد ، ولذلك لم يكن غريباً أن ينتشر بين النصارى الأرثوذكس شعار : إذا كان لابد من الوقوع تحت سيطرة طرف آخر فإننا نفضل أن تقع تحت سيطرة الأتراك المسلمين من أن يسيطر علينا " اللاتين " الكاثوليك " (٥١) .

أما ماري ملز باتريك ، وهي كاتبة أمريكية نصرانية من أشد الحاقدين على العثمانيين المسلمين بشكل خاص ، وعلى الإسلام بشكل عام ، لم تستطع أن تنكر سماحة السلطان محمد الفاتح وقالت "والواقع أن السلطان محمد الفاتح قد أظهر تسامحاً عظيماً مع المسيحيين " النصارى " وكان لكل ملة في ذلك الحين " زمن السلطان الفاتح " رئيس ديني كان لا يخاطب في الحكومة العثمانية إلا السلطان مباشرة ، ولكل ملة من الملل مدارسها الخاصة ، وأماكن للعبادة وأديرة كما أنه كان لا يتدخل أحد في أمورها المالية " . (٥٢) .

وأخيراً فإن المؤرخ الروسي " أوسبنسكي " قال " لقد تصرف الأتراك بعد فتح إستانبول عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م بشكل إنساني وبتسامح أكثر بكثير من تصرف الصليبيين عام ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م"(٥٣)

وما يؤكد الشهادات السابقة ، شهادة شخص يدعى قريتوولوس والذي كان معاصراً للحدث حيث يذكر لنا سماحة الفاتح ، معاملته للأسرى ، والوفاء لهم بالعهد . (٥٤) .

لقد تميز الفاتح بين جميع حكام عصرهِ بأنه من أشد الحكام وفاءاً بالعهد وبعداً عن الغدر وكان حريصاً على تنفيذ وعوده.(٥٥) وقد وعد أمام جنوده أن لا يتعدى على أهالي المدينة ولا يمسهم بسوء وقد صدق وعده ولم يعتدي على الأهالي .

أما المؤرخين الأتراك مثل دورسون والذي عاصر الحدث في كتابهِ " موسوعة التاريخ العثماني " والصدر الأعظم كامل باشا "التاريخ السياسي للدولة العثمانية " أكدوا هذه الحقائق . (٥٦)

الشهادات السابقة توضح أنه لم يكن قط كمعاصرية في التعامل مع الأسرى ، الذين كانوا يتلذذون وهم على موائد الطعام بمنظر الأسرى وقد اخترقت بطونهم أسنة الرماح أو برفعهم على الخوازيق وبالتالي ليس هناك مجال مطلقاً للمقارنة بين أعمال محمد الفاتح مع نصارى القسطنطينية وبين أعمال هولاكو وجنكيز خان في الشرق وهونادي وفلاد الولاشي في الغرب ، فأعمالهم عنوان تاريخهم استباحوا كلما هو إنساني ودمروا كل ما هو حضاري، ولو كان محمد الفاتح استباح القسطنطينية وفعل ما فعله هؤلاء لما بقي فيها مسيحياً واحداً (٥٧).

ويكفينا للرد على كل هذه التهم الزائفة كلمة واحدة وهي أن إشارة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف عن نعم الأمير الذي يفتحها ونعم الجيش الذي يدخلها ، فهذا دليل واضح وصريح لا يقبل الشك أبداً بأن القائد والجيش الذين قصدوا في البشارة النبوية قد تحلوا بكل ما هو إسلامي من أخلاق وقيم ومبادئ شريعة الإسلام ، لم يأتوا بما ينافيها ، وهذا الرد يغلق كل الأبواب التي قد تأتي منها رياح المغالطة والافتراء .

الخاتمة :-

لقد قام الفاتح بتوجيه رسالة الإسلام السمحة في فتح القسطنطينية عسى أن يفهمها الفكر الصليبي العنصري ، من أهم عناصره هذه الرسالة وبناءاً على ما سبق أنه لم يستبيح القسطنطينية ثلاثة أيام ، أو يسمح لجنوده بالعوث فيها فساداً لقد تمثلت رسالته في :-

١- إطلاق سراح الأسرى فوراً نظير مقابل مادي قليل يسدد على أقساط طويلة المدى ، أو من مال السلطان الخاص .

٢- إسكان الأسرى الذين كانوا من نصيبه في المغانم في المنازل الواقعة على ساحل الخليج .

٣- لم تستباح المدينة ثلاثة أيام عقب الفتح ، فلم ينتهك عرض امرأة ، ولم يمس شيخ عجوز ، ولا طفل ولا راهب بأذى ، ولم تهدم كنيسة ولا صومعة ولا دير ، مع أن المدينة أخذت بالحرب ورفضت التسليم .

٤- كان من حق الفاتح – على حسب السائد في عصره – أن المدينة طالما أخذت عنوة وبالقوة ، أن يكون هو نيابة عن الجيش الفاتح مالكاً لكل ما في المدينة ، ومن حقه أيضاً تحويل نصف الكنائس والأديرة والصوامع وعلى مدى زمن طويل إلى جوامع ومساجد وترك النصف الآخر لشعب المدينة ، ولكن ذلك لم يحدث حيث تدل وقفيات كثيرة للفاتح على بقاء أديرة وكنائس القسطنطينية في يد النصارى .

٥- أعترف بجميع الملل الدينية الموجودة وعين لهم رئيساً مسئول عنهم كاليهود والأرمن .

٦- أعاد الفاتح للأرثوذكس كرامتهم التي أهدرها اللاتين "الكاثوليك " بأن أعطاهم حق انتخاب رئيس لهم يمثلهم ويشرف على شؤونهم ، وأحيا الأرثوذكسية بعد أن أخذت تخفت ، ولعل هذا التصرف تسبب في تكتل أوروبا الكاثوليكية ضده .

٧- نهج السلطان العثماني سياسة التسامح الديني تماشياً مع الشريعة الإسلامية أولاً ، وليتسنى له الاستفادة من العناصر المسيحية ثانياً ، التي أضحت جزء من رعية السلطان المسؤولة عن استثمار البلاد .

وهكذا يتضح أن فتح القسطنطينية لم يكن قط كما ذكروا وأسهب المستشرقين فهو عكس ما جاء في كتبهم تماماً . يعتبر فتح القسطنطينية مفخرة من مفاخر الإسلام التي يزهى بها التاريخ ومجداً باقياً يحق لنا أن نفتخر بما حدث فيه من أخلاق إسلامية حقه ومن حقهُ علينا أن نزيل ما علق به من أكاذيب وافتراءات على مر الزمن .

الهوامش :-

1) Nisancizade mehmed Ramazan , Mir , at I Kainata II , Istanbul 1290, s.55-56.

٢) الشيخ محمد شمس الدين : هو محمد شمس الدين بن حمزة بن محمد الفناري ، يعتبر أول شيخ للإسلام في الدولة العثمانية ، وبه بدأت المشيخة ، من كبار علماء العهد العثماني ، وعالماً عارفاً بأصول الدين وعلم القراءات ، والعلوم العربية والمعاني والبيان والمنطق ، له مشاركات علمية في العلوم والفنون الأدبية العربية ، ولد عام ٧٥١هـ/ ١٣٥١م ، تولى المشيخة عام ٨٢٥هـ / ١٤٢٥م ، وانتهت مشيخته عام ٨٣٤هـ / ١٤٣١م ، من أهم مؤلفاته " فصول البدائع في أصول الشرائع " توفي عام ٨٣٤هـ / ١٤٣١م أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني ، ج١ ، ط١ ، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٣٠١-٣٠٦.

٣) الملا خسرو : هو محمد بن فرا مزر بن علي الرومي الحنفي ، وسبب حمله لاسم خسرو وهو اسم الشهرة ، أن الده زوج أخته من أحد الأمراء العثمانيين يدعى " خسرو " فغلب عليه اللقب في النهاية ، يرجع أصلهِ إلى قبيلة إرساق التركمانية ، أصبح عالماً بالفقه الحنفي ، والأصول ، وكان السلطان محمد الفاتح يجله كثيراً ويفتخر به ويلقبه بأبو حنيفة زمانة ، تولى مشيخة الإسلام عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م واستمر بها حتى وفاته عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ومن أهم مؤلفاتهِ " غرر الأحكام مع شرح "الأحكام ". أحمد صدقي شقيرات : مرجع سابق، ج١ ، ص٣٢١ – ٣٢٥ .

٤) الملا كوراني : هو أحمد شمس الدين ابن إسماعيل بن عثمان الكوراني ، يشهد له بالرخصة والعلم وقد شهد فتح القسطنطينية وأول شيخ إسلام يدفن بها ، ولد عام ٨١٩هـ / ١٤١٦م ، فقيه في علم القراءات والحديث والتفسير ، عمل مدرساً في مدرسة السلطان مراد الثاني في بروسه ، ثم عين مؤدباً للأمير محمد " محمد الفاتح " تولى منصب قاضي العسكر عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١هـ شارك في عملية فتح القسطنطينية أثناء توليه منصب القضاء ، حيث كان يشجع الجنود على الصمود والقتال أمام أسوار المدينة العتيقة ، ثم تولى المشيخة عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م توفي عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م ، أهم مؤلفاته : تفسير القرآن الكريم بإسم " غاية الأماني في تفسير السبع المثاني " أحمد صدقي شقيرات : مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٢٨ – ٣٣٣ .

٥) علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١ ، دار البيارق ، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٩م ، ص١٨١ . زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ط١ ، ج٢ ، الأردن : دار الفرقان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٦٥ .

٦) محمد حرب : ليس بالاستشراق نفهم تاريخنا ، المجلة العربية السعودية، العدد ١ . رجب – مارس ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٧٤.

٧) علي محمد الصلابي : مرجع سابق ، ص ١٨١ .

٨) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت : المكتب الإسلامي د.ت ، ج٤ ، ص ٣٣٥ . الطبراني : المعجم الكبير، د.م ، د.ت ، ج٢ ، ص ٣٨ . محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ط٢ ، لبنان : دار المعرفة للطباعة ،

١٣٩١هـ / ١٩٧٢م ، ج٥ ، ص ٢٦٢ . وقد أورد هذا الحديث السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الإمام أحمد بن حنبل في المسند والحاكم في المستدرك ، ورمز له بالصحة بشر الفتوى .

٩) أيمن أحمد حسين العقبي : آراء المستشرق " جوزيف هامر " حول شخصية السلطان محمد الفاتح من خلال كتابه " تاريخ الدولة العثمانية" رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم الإستشراق ، كلية الدعوة ، ١٤١٩هـ ، ص ٤٦ .

١٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : نبيه أمين فارس – منير البعلبكي ، الطبعة ١٢ ، لبنان : دار العلم للملايين ، ١٩٩٣م ، ص ٤٣١ .

١١) روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ترجمة : بشير السباعي ، الطبعة ١ ، القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م ، ص ١٢٣ .

١٢) روبير مانتران : مرجع سابق ، ج١ ، ص١٢٣ .

١٣) جون باتريك ، كيزوس : القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، ترجمة : ناهد إبراهيم الدسوقي ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص١١٧.

14) J . Hammer : Histoire de l' Eepire ottoman , Paris , 1935 – 1846, 2/ 558 .

١٥) أيمن أحمد العتبي : مرجع سابق ، ص ٦٣ .

١٦) صموئيل نستون – وليام دي ويت : أحدث شهيرة في التاريخ طبعته مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نقلاً عن زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٢٦٥ .

١٧) خليل إينالجيك . تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار ، ترجمة : محمد الأرناؤوط ، ط١ ، لبنان : المدار الإسلامي ، ٢٠٠٢م، ص ٤٢ .

١٨) سالم الرشيدي : محمد الفاتح ، ط١ ، مصر : دار النشر ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٢٢ .

١٩) زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص ٢٦٨ .

٢٠) أحمد أق كوندز ، سعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة ، تعريب: أورخان على ، وقف البحوث العثمانية ، د.ط، د.م، ص١٧٢.

٢١) مرجع سابق ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

٢٢) الجزية : هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة ، وهي فعلة ، من الجزاء ، كأنها جزت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم .

٢٣) القفيز : مكيال قديم ، ويعادل حالياً ستة عشر كيلو جراماً .

٢٤) يحيى بن آدم : الخراج ، ج١ ، د.ط ، د.ت ، ص ٢٠ .

٢٥) يحيى بن آدم : مصدر سابق ، ج١ ، ص٣٧ .

٢٦) والغنيمة : جميع ما أصابوا من شيء : قل ذلك أو أكثر ، حتى الإبر ، إلا الأرضين فإن الأرضين إلى الإمام ، إن رأى أن يخمسها ، ويقسم أربعة أخماسها للذين ظهروا عليها فعل ذلك ، وإن رأى أن يدعها فيئاً للمسلمين على حالها أبدا فعل ، بعد أن يشاور في ذلك ، ويجتهد رأيه يحيى بن آدم : مصدر سابق ، ج١ ، ص٥ . أبو القاسم سليمان بن

أحمد بن أيوب الطبراني : المعجم الكبير ، ج٢ ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، د.م ، د.ت ، ص٢٩٢ .

٢٧) يحيى بن شرف أبو ذكريا النووي : شرح النووي على مسلم ، ج١٢، د.ط ، دار الخير ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ص ٥٨ .

٢٨) أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، ج٢ ، د.ط، د.ت ، ص٤٥٥ .

٢٩) علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، ط٣ ، مصر : المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ٣٨ .

٣٠) مرجع سابق ، ص ٣٨ . الصفصافي أحمد المرسي : إستانبول – عبق التاريخ ، ط١ ، دار الآفاق ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٣٢ خلف دبلان الوذيناني : الدولة العثمانية والغزو الفكري ، ط٢، مكة المكرمة: مطبعة جامعة أم القرى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص١١٣ ، ١١٤ .

٣١) الصفصافي أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص٣٢ .

32) Omer Faruk yilmaz , Belgelerle osmanli Tarihi Istanbul 1999 , s, 368

الصفصافي أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص ٣٢ ، علي حسون : مرجع سابق ، ص ٣٨ . أحمد رفيق : بيوك تاريخ عمومي ، ج٦ ، د.ط ، إستانبول، د.ت ، ص ٩٠ . يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : عدنان محمود سليمان ، د.ط ، تركيا : إستانبول منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ج١ ، ١٩٨٨م ، ص١٣٩ .

٣٣) **كنيسة أيا صوفيا** : بنيت القسطنطينية عام ٦٥٨ ق . م ، وحولت إلى عاصمة للدولة الرومانية عام ٣٣٠م ، تعرضت المدينة لتسع وعشرين

محاولة لدخولها ، بنى قسطنطين الكنيسة ، وأطلق عليها " الكنيسة الكبرى " وفي عام ٤١٥م رممت الكنيسة بعد إصابتها بزلزال مدمر ، وفي عام ٥٣٧م جدد بناءها بعد دمارها في حريق كبير وسميت كنيسة القديسة " صوفيا " " سانت صوفيا " أو " آيا صوفيا " وفي عام ١٢٠٤م نهبت ودمرت الكنيسة من الصليبين أتباع البابا ، وذلك أثناء مرورهم بالقسطنطينية وهم في طريقهم في إحدى الحملات الصليبية المتوجهة إلى بيت المقدس . زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، ط١ ، الأردن ، دار الفرقان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٩٦-٩٨ .

٣٤) جاءت الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م وأستولت على القسطنطينية، وقد انتشروا في شوارعها يقتلون من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال ، ولم يتركوا ثروة أو تحفة إلا نهبوها ولا أثراً فنياً إلا عبثوا به ، وهم الذين حملوا شارة الصليب على صدورهم وقد تمنى شاهد عيان اسمه – نقتاش خونياتس أنه لو سقطت العاصمة بيد المسلمين بدلاً من الصليبين لكان أفضل وأكرم ، حيث تذكر عندما فتح المسلمين بيت المقدس لم يفعلوا بالمسيحيين وبيوتهم ما فعله الصليبين بأهل القسطنطينية وكنائسها . فقد أقتحموا كنيسة أيا صوفيا وهم سكارى فمزقوا الستائر والبسط والفرش ، حتى أنهم داسوا الكتب المقدسة بأقدامهم وحطموا الأيقونات الفضية ، ولم يهدأ الصليبيين إلا بعد أن حولوا العاصمة الشرقية للمسيحية إلى دمار وخراب . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد

الإسلامي في العصور الوسطى ، ج٢ ، ط٦ ، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٤م ، ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ .

٣٥) سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

٣٦) شكيب أرسلان : تاريخ الدولة العثمانية ، ط١ ، دمشق : دار ابن كثير، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ٨٦ . يلمازا وزتونا : مصدر سابق ، ج١، ص ١٤٠ ، ١٤١ . عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، مصر : دار الكتاب العربي ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٩م ، ص٨٣ . سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢٣ . علي حسون : مرجع سابق ، ص ٣٨ . الصفصافي أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص٣٢ .

٣٧) عبدالمنعم الهاشمي : الخلافة العثمانية ، الطبعة الأولى ، لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص١٦٤ .

٣٨) زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد محمد الفاتح ، ص٨٨ .

٣٩) سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

٤٠) عبدالمنعم الهاشمي : المرجع السابق ، ص١٦٤ . عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : مرجع سابق ، ص٨٤ . علي محمد الصلابي : مرجع سابق ، ص١٧٩ . ١٨٠ .

٤١) يلمازا وزتونا : مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤٠ .

٤٢) كان من أشد المعارضين لإتحاد الكنيستين الشرقية والغربية، إذ أن الإمبراطور قسطنطين عندما أحس بنية محمد الفاتح بالحرب ، أرسل إلى البابا نيقولا الخامس يطلب منه المساعدة وافق البابا على شرط أن تتحد الكنيستان الشرقية والغربية ، وعلى الرغم من عمق جذور العداوة

بين الأرثوذكسية والكاثوليكية ، إلا أن الإمبراطور وافق مضطراً ، وللدلالة على هذه الموافقة . جرت مراسم دينية وصلاة في كنيسة أيا صوفيا وفق المذهب الكاثوليكي لكن الشعب أشمأز من ذلك ، وقال الوزير البيزنطي جملته ، المشهورة " إنني أفضل أن أشاهد في ديار البيزنطيين عمامة الأتراك على أن أشاهد القبعة اللاتينية " وهكذا حال تعصب الشعب دون مساعدة البابوية . محمد سهيل طقوش : العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، ط١ ، بيروت : دار بيروت المحروسة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٩٥م ، ص ٩٢ .

٤٣) سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ . زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

٤٤) عبدالمنعم الهاشمي : مرجع سابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

٤٥) سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

٤٦) زكريا سليمان بيومي : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، ط١ ، جدة : عالم المعرفة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ٤٧ .

٤٧) الصفصافي أحمد المرسي : مرجع سابق ، ص ٣٢ . سالم الرشيدي : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

٤٨) أحمد آق كوندز ، سعيد أوزتورك : مرجع سابق ، ص ١٧٠

٤٩) زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد ، ص٧٥ .

٥٠) Lamouche : Hist, de la turquie , paris , 1953 , s 102

٥١) زياد أبو غنيمه : السلطان المجاهد ، ص ٧٥ .

٥٢) مرجع سابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

٥٣) " ماري ملز باتريك : سلاطين بني عثمان ، ط١ ، لبنان مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص١٢ .

٥٤) " أحمد آق كوندز ، سعيد أوزتورك : مرجع سابق ، ص١٧٣ وقد نقل أحمد آق كوندز أن قناة " CNN " الأمريكية ومجلة "Time" عندما قدمت برنامجاً عن أهم مائة حادثة في الألف سنة الماضية والذي جاء فيه ذكر أن فتح إستانبول يعد إحدى هذه الحوادث فقد جاء فيها " كانت إستانبول قبل فتحها من قبل الفاتح مدينة خربة ميتة ، وبعد الفتح أصبحت هذه المدينة عامرة ومركزاً لتجارة البلدان الأوروبية والبلدان الإسلامية على السواء " .

٥٥) أيمن أحمد حسين العقبي : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

٥٦) مرجع سابق ، ص ٤٠ .

٥٧) زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ص٢٨٢ .

٥٨) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ، د.ط ، مصر: المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :

المصادر العربية :

١- أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي : موطأ الإمام مالك ، ج٢ ، د.ط، د.ت .

٢- أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني : المعجم الكبير ، ج٢ ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، د.م ، د.ت .

٣- أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٤ ، د.ط ، بيروت: المكتب الإسلامي ، د.ت .

٤- محمد عبدالروؤف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج٥ ، لبنان : دار المعرفة للطباعة ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م .

٥- شكيب أرسلان : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق : حسن السماحي سويدان ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار ابن كثير، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٦- يحيى بن آدم : الخراج ، ج١ ، د.ط ، د.ت .

٧- يحيى بن شرف أبو زكريا النووي : شرح النووي على مسلم ، ج١٢ ، د.ط ، دار الخير ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

ثانياً :

المصادر العثمانية :

١- أحمد رفيق : بيوك تاريخ عمومي ، ج٦ ، د.ط ، إستانبول ، د-ت، ج٦ .

ثالثاً :

المصادر التركية المترجمة :

١- يلمازا وزتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ترجمة : عدنان محمود سليمان ، د.ط ، تركيا : إستانبول ، منشورات فيصل للتمويل ، ١٩٨٨م .

رابعاً :

المراجع التركية :

1- **Nisancizade mehmed Ramazan : mir at I kainata II . Istanbul , 1290 .**

2- **Omer Faruk Yilmaz : Belgelerle osmanli Tarihi , Istanbul , 1999 .**

3- **Lamouche : Hist dela Turquie Paris , 1953 .**

خامساً :

المراجع العربية :

١- أحمد صدقي شقيرات : تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني ، الطبعة الأولى ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢- خلف دبلان الوذيناني : الدولة العثمانية والغزو الفكري ، د.ط ، سلسلة الرسائل الجامعية الموصي بطباعتها بجامعة أم القرى مكة المكرمة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٣- زياد أبو غنيمه : جوانب مضيئة في تاريخ العثمـــانيين الأتـــراك ، الطبعة الثانية ، الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م .

٤- ـــــــــــــ : السلطان المجاهد محمد الفاتح ، الطبعة الأولى ، الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م .

٥- زكريا سليمان بيومي : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين ، الطبعـــة الأولى ، جدة : عالم المعرفة ، ١٤١١هـــ / ١٩٩١م.

٦- سالم الرشيدي : محمد الفاتح ، الطبعة الأولى ، مصر : دار البشير، ١٤٢٠هـــ / ٢٠٠٠م .

٧- سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ج٢ ، الطبعة السادســـة ، مصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٤م.

٨- الصفصافي أحمد المرســـي : إســـتانبول عبـــق التـــاريخ وروعـــة الحضارة، الطبعة الأولـــى ، دار الآفـــاق العربيـــة ، ١٤١٩هـــــ/ ١٩٩٩م .

٩- عبدالسلام عبدالعزيز فهمي : فتح القسطنطينية ، الطبعـــة الأولـــى ، مصر : دار الكتاب العربي ، الهيئـــة العامـــة للتـــأليف والنشـــر ، ١٩٦٩م.

١٠- عبدالمنعم الهاشمي : الخلافة العثمانية ، الطبعة الأولى ، لبنان : دار ابن حزم ، ١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م .

١١- علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعـــة الثالثـــة ، المكتـــب الإسلامي ، ١٤١٥هـــ / ١٩٩٤م .

١٢- علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية – عوامل النهوض وأسباب السقوط ، الطبعة الأولى ، دار البيارق ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

١٣- محمد حرب : مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني ، الطبعة الرابعة ، دمشق : دار القلم ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

١٤- محمد سهيل طقوش : العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، الطبعة الأولى ، لبنان : بيروت المحروسة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

سادساً :

المراجع الأجنبية :

1- J.Hammer : Histoire de l'Empire ottoman , Paris , 1835 – 1846.

سابعاً :

الكتب المترجمة :

١- أحمد آق كوندز ، سعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة ، تعريب : أورخان علي ، د.ط ، إستانبول : وقف البحوث العثمانية، د.ت .

٢- خليل إينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار ، ترجمة : محمد الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، لبنان : دار المدر الإسلامي ، ٢٠٠٢م .

٣- روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : بشير السباعي ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر ، ١٩٩٣م .

٤- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ترجمة : منير بعلبكي ، الطبعة الثانية عشر ، لبنان : دار العلم للملايين ، ١٩٩٣م .

٥- ماري ملز باتريك : سلاطين بني عثمان ، الطبعة الأولى، لبنان : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

٦- جون باتريك كيزوس : القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية ، ترجمة : ناهد إبراهيم دسوقي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م.

ثامناً :

الرسائل الجامعية :

١- أيمن أحمد حسين العقبي : آراء المستشرق " جوزيف فون هامر " حول شخصية السلطان محمد الفاتح ، رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم الاستشراق ، كلية الدعوة ، ١٤١٨هـ .

تاسعاً :

الدوريات :

١- محمد حرب : ليس بالاستشراق نفهم تاريخنا ، المجلة العربية ، المملكة العربية السعودية ، العدد ١ ، رجب – مارس ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .